

آليات المتعة

عرض: روبين مارانتز هينغ

صحيفة نيويورك تايمز

27 يونيو 2010

How Pleasure Works

Reviewed By Robin Marantz Henig

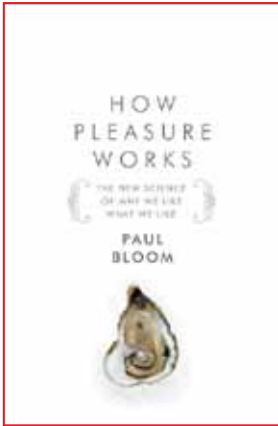
The New York Times Newspaper

ترجمة: علي الحارس (alharis.a@gmail.com)

- كاتبة صحفية مختصة بالشؤون العلمية.
- من الأقلام الصحفية المساهمة في عدد من الصحف والمجلات الأمريكية المرموقة.

روبين مارانتز هينغ

الكتاب: آليات المتعة.. الاكتشافات العلمية الجديدة تفسر لماذا نحب ما نحب.



غلاف الكتاب

الكاتب: بول بلوم.

عدد الصفحات: 280.

الناشر: (Norton, W. W. & Company, Inc).

تاريخ النشر: يونيو 2010.

نبذة عن الكاتب:



بول بلوم

- أستاذ علم النفس، جامعة يال.
- دكتوراه في علم النفس الإدراكي، جامعة (MIT).
- حاصل على جائزة مرموقة في التعليم الجامعي.
- محرر في مجلة (علوم الدماغ والسلوك).
- له أكثر من 100 مقال في كبرى الصحف والمجلات.
- تتلقى أبحاثه التمويل من المؤسسة الوطنية للعلوم، والمعهد الوطني للصحة العقلية.

آليات المتعة

في عام 2003 قام خبير كومبيوتر ألماني يدعى آمين ميفيس (Armin Meiwes) بنشر إعلان على شبكة الانترنت يطلب فيه شخصا يقدم نفسه للقتل ومن ثم.. الأكل؛ وبشكل لا يصدق. أجاب 200 شخص على الإعلان. واختار ميفيس منهم واحدا يدعى بيرند برانديس (Bernd Brandes). وفي إحدى الليالي، وداخل منزل ريفي تابع لميفيس. قام برانديس بتناول بعض الحبوب المنومة واحتسى شيئا من المسكرات القوية. وقبل أن يغلبه النوم قام ميفيس بقطع قضيبه وقلبه بزيت الزيتون وأعطاه بعضا منه ليأكله. هرع برانديس بعدها إلى بانيو الحمام وهو ينزف بغزارة. وهناك طعنه ميفيس في رقبته. ثم قطعه إربا إربا وخرن قطع اللحم في المجمدة؛ وخلال الأسابيع التالية قام ميفيس بإخراج اللحم شيئا فشيئا ليتناول 20 كيلوغراما من جسد برانديس على ضوء الشموع ولمعان أدوات المائدة الفاخرة.

لحظة من فضلك! لماذا تظهر قصة مثل هذه في كتاب يحمل عنوان (آليات المتعة). وكتبت على غلافه العبارة التالية «فهم جديد للمتعة والرغبة والقيم»؟ فإذا كان هذا «فهما جديدا» فربما علينا أن نتمسك بالفهم القديم. مع الشكر الجزيل لمن تكبد عناء الفهم الجديد. والعجب العجيب أن القارئ لا يكمل الفصل الثاني إلا ليجد نفسه منغمسا في تفاصيل عن أكل لحوم البشر والحافز الانتحاري الماسوشي. ولا تنتهي المسألة عند هذا الحد. بل يتناول الكاتب مواضيع أخرى مماثلة: التقيؤ المتعمد. ومباريات تشويه الجسد. والجنس القردي.

نصيحتنا إلى القارئ أن لا يتأثر ويتابع القراءة. فالكاتب بول بلوم لم يستعن بهذه الاستطرادات الغريبة إلا ليقينا مشدودين إلى ما يقول. لقد أُلّف بلوم. وهو من أساتذة علم النفس في جامعة يال. كتابا يختلف عن الكثير من الكتب التي تحدثنا عن المتعة كموضوع عام؛ فليس في هذا الكتاب نصيحة تخبر القارئ كيف يكون سعيدا بإعادة ترتيب خزانة الملابس. بل يسعى إلى مسافة أعمق من مجرد الرغبة بإحساس أفضل؛ فيحلل كيف قامت أذهاننا بتطوير الألعاب إدراكية معينة تساعدنا على مفاوضة ما يحيط بنا ماديا

آليات المتعة

واجتماعيا. وكيف تقودنا هذه الألاعيب إلى الحصول على المتعة في مجالات لا نتوقعها؛ فيقول: «العديد من أوجه المتعة البشرية مشتركة لدى الجميع. ولكنها ليست ناتجة عن تكييفات بيولوجية؛ وإنما هي نتائج ثانوية لأنظمة ذهنية تطورت لأغراض أخرى». والمختصون بعلم النفس التطوري، من أمثال بلوم، مولعون بشرح الصفات النفسية المحيرة على هذا النحو؛ وبهذا المنهج تنشأ الصفات النفسية باعتبارها مكونات مرافقة طارئة لصفات أخرى تساعدنا على البقاء والتكاثر.

إن أكثر مصادر المتعة إثارة للحيرة، بحسب هذا المفهوم، ما هي إلا آثار جانبية «لجوهريتنا» الفطرية، وهي فكرة ترى أن «الأشياء ذات واقع مبطن أو طبيعة حقيقية... وأن هذه الطبيعة الخفية هي التي تحمل الأهمية الحقيقية». لقد كان في صالح أسلافنا أن يكونوا «جوهريين» فتمكنوا من تصنيف النباتات والحيوانات المحيطة بهم على أساس أنها إما «خطيرة» أو «مأمونة». وبالتالي عرفوا أيا منها ينبغي تجنبه. أما اليوم، فإن قدرتنا على إدراك جوهر الأشياء تفسر، على سبيل المثال، استعداد شخص ما لدفع (48,875 دولار) لشراء (شريط قياس) كان يمتلكه الرئيس الراحل جون كينيدي.

المواد الإباحية مثال آخر عن الحصول على السعادة عبر الجوهريّة؛ وإلا فلماذا يقضي بعض الرجال وقتا أكثر في متابعة المواد الإباحية عبر الانترنت عوضا عن التوجه إلى إنسانة من لحم ودم؟ إذ يرى بلوم أنه ما من «فائدة تكاثرية» ترتجى من المواد الإباحية، ولكن الفائدة تكمن في مصدر هذه المواد: رغبة النظر إلى «أشخاص عراة جذابين» حقيقيين تجعلنا نريد ممارسة الجنس، وهو أمر جيد بالتالي لاستمرار النوع البشري. والمواد الإباحية تستخدم آلية المتعة نفسها التي يستخدمها الجنس الحقيقي، فتقدم أمرا ممكنا باعتبار أنه «ليس هنالك دائما أشخاص عراة جذابين بقربك عند الحاجة».

تأتي بعد ذلك المتع الخيالية التي تكون أكثر قبولا لدى الجميع: الخيال، الأفلام، التلفزيون، أحلام اليقظة، فيقول عنها بلوم: «طبعاً سيكون من الأفضل السعي خلف

آليات المتعة

أنشطة أكثر ملاءمة لغرض التكيف. كالأكل والشرب والجماع وتأسيس العلاقات وبناء المنزل وتعليم الأطفال». ولكن عندما نهرع إلى عالم خيالي يكاد يكون الأمر كمعايشة متعة واقعية. ويدعو بلوم هذه الظاهرة: «الواقع المخفف: بديل مفيد عندما تكون المتعة الحقيقية غير ممكنة أو خطيرة أو تحتاج إلى الكثير الكثير من العمل».

إن أفكار بلوم تتعارض تماما مع مفهوم الحسية المطلقة للمتعة: وهي أننا نستمتع بالطعام لمذاقه. وبالموسيقى لوقعها على أسماعنا. وبالفن لانطباعه في أعيننا؛ فهو يقول: «إن المتعة تتأثر بعوامل أعمق. ومن بينها ما يعتقد الشخص حول الجوهر الحقيقي لما يحصل على المتعة من خلاله». فعندما يدفع أحدهم مبلغا كبيرا من المال لشراء (شريط قياس) لمسه أحد المشاهير. أو يعتز برسوم أطفاله الفوضوية عندما كانوا في الروضة. فإن ذلك عائد إلى بأن شيئا من جوهر هذا الشخص أو ذلك موجود في الغرض نفسه؛ وإلا كيف يمكن تفسير احتفاظ أحد الكتاب بمجموعة من الأوراق البيضاء؟ إنها ليست مجموعة من الأوراق البيضاء فحسب. وإنما هي الأوراق البيضاء التي كان سيكتب عليها كتاب آخرون. ولكنهم أرسلوها إليه بناء على طلبه.

ولكن ماذا عن الجوانب الأخرى الأكثر رفضا من المتع. كما حدث مع الممثل المسرحي الذي باع (90) علبة معدنية من برازه. نصفها غير معبأ جيدا وسينفجر في النهاية. وذلك مقابل (61,000 دولار) للعلبة الواحدة؟ إن بلوم يورد القصة دون تقييمها. فهي تساعد في إثبات وجهة نظره وإن كانت مثيرة للاشمئزاز. لنرجع إلى قصة ميفيس أكل لحوم البشر وضحيته برانديس. لقد كان ميفيس يعتقد بأنه يأكل جوهر برانديس. وقال للشرطة: «أحسست مع كل لقمة أن تذكري له يزداد حدة». ولفنت نظرهم إلى أن برانديس كان يجيد الانكليزية. وأن مستواه الشخصي في هذه اللغة تحسن كثيرا بعد تناوله ذلك اللحم.